الخطب المنبرية

شؤم صفر

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الخُطبةُ الأولَى

إنَّ الحمد لله نحمده أحقَّ الحمد وأوفاه، ونستعين به ونبتغي رضاه، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادةً تَقينا من كلِّ شركٍ وبدعةٍ وهوى، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المصطفى، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المؤمنون! اتَّقوا الله وكونوا مع الصَّادقين، وتمسَّكوا بالدِّين الحقِّ المتين، والزموا جماعة المسلمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التَّوبة].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

أيُّها المؤمنون!

إنَّ مدار صلاح العبد وفساده بحسب اعتقاده؛ فمن صَلُح اعتقاده صَلُحت

حاله، ومن فَسُـد اعتقاده فَسُدت حاله؛ فإنَّ الاعتقادات منشـأ الإرادات، ومن الإرادات تتولَّد الأعمال في القلب واللِّسان والجوارح.

فمَن صَـلُحت اعتقاداته صَـلُحت إراداته؛ فصَـلُحت أعماله على اختلاف أنواعها.

وإلى ذلك أشـار النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»(١).

فإنَّ أعظم قوَّته هي قوَّته بالإيمان؛ الَّذي هو أصل الاعتقاد وأُسُّـه ومَداره؛ فإذا قَوي اعتقاده وعَظُم تعلُّقه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان مؤمنًا قويًّا، وإذا ضَـعُف اعتقاده كان مؤمنًا ضعيفًا.

والأعمال تابعةٌ للإرادات، والإرادات تابعةٌ للاعتقادات.

فينبغي أن يجتهد العبد في تقوية إيمانه، وتصحيح اعتقاده؛ امتثالًا لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾[الزُّمر]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمَّد:١٩]؛ فإنَّه لا يستقِرُّ العلم بِها، ولا يكون العبد مُخلِصًا دينه لله عَزَّوَجَلَّ حتَّى يجتهد في تصحيح اعتقاده.

ويرجع تصحيح اعتقاد أحدنا إلى أصلين عظيمين:

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* **أحدهما**: إمداد قلبه بأسباب قوّته من التَّعلُّق بالله عَزَّوَجَلَّ؛ محبَّةً، ورجاءً وخوفًا، وتوكُّلًا، وإنابةً، واستغاثةً، واستعاذةً، واستعانةً، إلى سائر ذلك من التَّوجُّهات القلبيَّة.

* **وثانيها**: نفي الاعتقادات الفاسدة الَّتي تعتري القلوب فتُضعِفها وتصدُّها عن إخلاص دينها لله وعِلمها بربِّها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فينبغي أن يكون المرء مجتهدًا في تصحيح اعتقاده بتقويته بما يقوِّيه - من توكُّلٍ على الله، وإنابةٍ إليه، واستعانةٍ به، وخضوعٍ له -، وأن يتعاهد نفسَه بنفي الاعتقادات الفاسدة؛ لئلَّا يسري شيءٌ منها إلى قلبه فيُفسدَ عليه اعتقاده.

وما يرجع إلى الأصل الأوَّل هو منثورٌ في الكتاب والسُّنَّة، مبيَّنٌ، صالحٌ لكُلِّ زمانٍ ومكان، مُستقِرٌّ فيها لا يتغيَّر.

وأمَّا ثانيها فإنَّه متجِّددٌ متعدِّدٌ متغيِّرٌ؛ فيَستجِدُّ للنَّاس - ممَّا يُفسِد عقائدهم - في زمانٍ ما لم يكن في زمانٍ متقدِّمٍ، وربَّما خَبَا شرُّه في زمانٍ، ثمَّ رجع إلى النَّاس في زمانٍ آخر.

ومن جملة ذلك: ما شاع عند بعض النَّاس من التَّشاؤم في شهر صفرَ؛ فإنَّ مِن النَّاس مَن يراه شهرًا لنزول المصائب وحلول المكاره فيتشاءم منه! ويخاف حلول المكروه فيه!

ويبلغ الأمر أَوْجَه: عندما يحتفل بعض النَّاس بخروج شهر صفر، ويزعم

أنَّ ذلك هو فرجٌ من الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذْ خَرج هذا الشَّهر ولم تقع فيه مصيبةٌ!

ويذكرون حديثًا مكذوبًا ينسبونه إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من بشَّرني بخروج صَفر فله الجنَّة»(١)؛ وهو حديثٌ مكذوبٌ لا يصحُّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وشهر صفرَ كسائر الشُّهور؛ إنَّما جعله الله ظرفًا للأحوال والأعمال؛ قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [التَّوبة:٣٦].

فالشُّهور هي اثنا عشر شهرًا، ومن جملتها: شهر صفرَ، وقد جعلها الله عَزَّوَجَلَّ ظرف زمانٍ؛ لِما يكون فيها من الأحوال والأفعال؛ فهي لا تتجاوز هذا الحدَّ، ولا تشتمل على يُمنٍ ولا تشاؤمٍ، ولا ينبغي أن يُعلِّق المرء قلبَه فيها بحلول مرغوبٍ، أو فرارٍ من مكروهٍ مكروبٍ؛ فإنَّ الأيَّام هي الأيَّام؛ وإنَّما تُجعَل ظرفًا لِما يُدَّخر فيها من حالٍ أو فِعالٍ؛ فلا يتجاوز العبد اعتقاده فيها هذا المعنى.

وقد حذَّر النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الاعتقاد الجاهليِّ في شهر صفرَ؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ**»(٢).

(١) ذكره العجلونيُّ في «كشف الخفاء ومُزِيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النَّاس» ٢/ ٢٨٠، والشَّوكانيُّ في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص ٤٣٨.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٧٠٧) ومسلمٌ (٢٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمراد بـ (النَّفي): نفي ما كان يُعتقَد فيه من الاعتقادات الفاسدة أنَّ شهر صفرَ شهر شؤمٍ، وأنَّه محلٌّ لنزول المصائب وحلول المكروه بالخلائق.

فينبغي أن ينفي العبد عن نفسه هذا الاعتقاد الَّذي ينفخ فيه بعض الجهَّال بتوهُّمهم وجود هذه المعاني بما يَعرِض لأحدهم مِن مصيبةٍ قدَّرها الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صفرَ، فإنَّ الَّذي قدَّرها في هذا الشَّهر يُقدِّر غيرها لغيره في شهرٍ آخر؛ فالمصائب والمكاره الَّتي تحلُّ بالنَّاس مقسومةٌ بين هذه الشُّهور الاثني عشر، وليس لأحدٍ منها خَصِيصةٌ دون الآخر في كون المصائب والمكاره تحلُّ فيه.

فاجعلوا شهر صفرَ كسائر الشُّهور؛ لا يتعلَّق به شؤمٌ، كما لا يتعلَّق به يُمْنٌ.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله العليَّ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله حمدًا حمدًا، والشُّكر له تواليًا وترًا، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له؛ فلا معبودَ حقٌّ سواه، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ومصطفاه.

اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ بارك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المؤمنون!

إنَّ شهر صفرَ شهرٌ كسائر الشُّهور؛ ليس محلًّا لليُمن، ولا محلًّا للتَّشاؤم، وإنَّ نفي الاعتقادات الفاسدة الَّتي تعتري بعض القلوب فيه هو من جملة تصحيح الاعتقاد، الَّذي يتحقَّق به قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمر:٢]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

ومَن حَيِي كذلك فإنَّه يموت كذلك؛ فمن صحَّ اعتقاده في حياته صحَّ اعتقاده في مماته؛ فمَن أيقن أنَّه لا إله إلَّا الله عالمًا بذلك مات على ذلك، ومن مات على ذلك دخل الجنَّة؛ كما قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ

أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(١)، ولا يموت عالمًا أنَّه لا إله إلَّا الله إلَّا مَن حَيِيَ وهو يعلم أنَّه لا إله إلَّا الله.

ومَدار نفي الاعتقادات الفاسـدة: كمال التَّوكُّل على الله، وتفويض الأمر إليه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٣﴾ [التَّغابن].

فإنَّ الله لمَّا ذكر وحدانيَّته بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾، بيَّن أعظم ما تتحقَّق به هذه الوحدانيَّة؛ وهو تفويض الأمر إلى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وإظهار العبد ضعفَه له، واعتمادَه عليه؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

فتوكَّلوا على ربِّكم في حصـول مطالبكم، ولا تتخوَّفوا شـيئًا ممَّا نفاه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عنكم ولم يُجاوِز الله به حدَّه؛ كشهر صفرَ، الَّذي هو شهر زمانيٌّ، جعله الله محلًّا للأفعال والأحوال.

واجتهدوا في تصـحيح اعتقاداتكم، وحفظ إيمانكم؛ فبذلك تَسـعدوا وتَطيب حياتكم في دنياكم وأخراكم.

اللَّهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك الهدى، والتُّقى، والعفاف، والغنى.

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٦)، من حديث عثمانَ بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

اللَّهمَّ حبِّب إلينا الإيمان، وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الرَّاشدين.

اللَّهمَّ أحينا على لا إله إلَّا الله، وأمتنا على لا إله إلَّا الله، واحشرنا جميعًا في حزب لا إله إلَّا الله.

اللَّهمَّ أحينا حياةً سعيدةً، وتوفَّنا وفاةً حميدةً.

اللَّهمَّ أحينا على خير حال، وأمتنا على خير حال، واقلبنا جميعًا إلى خير المآل.

اللَّهمَّ فرِّج كُرب المكروبين، ونفِّس هموم المهمومين، واقض الدَّين عن المَدينين، واشف مرضنا ومرضانا ومرضى المسلمين.